

# بريطانيا العظمى ومعاهدة لندن لحياذ البحر الأسود 1871

يوسف حسين عمر

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب،  
"جامعة الأقصى"، فلسطين

## الملخص

عملت بريطانيا سنوات عديدة للحفاظ على معاهدة باريس 1856 التي تم توقيعها عقب حرب القرم 1853-1856، وعدم إلغائها أو تغيير بنودها باعتبارها معاهدة حكمت العلاقات الأوروبية لسنوات عديدة، ونصت في بعض بنودها على حياذ البحر الأسود؛ مما يعني حرمان روسيا من استخدام السفن العسكرية أو بنائها في البحر الأسود، ولقد عارضت روسيا هذا الأمر مستغلة تغير الخريطة السياسية في أوروبا، وظهور ألمانيا كقوة عظمى ومؤثرة بزعامة بسمارك، كما كانت القوى الأوروبية - وعلى رأسها فرنسا - مشغولة بأوضاعها الداخلية، بينما وجدت بريطانيا - بزعامة جلاستون - نفسها وحيدة في مواجهة روسيا، وقد حاولت بريطانيا العمل من أجل التمسك بهذه المعاهدة، لكنها أمام مطالب روسيا الجديدة وإلحاحها، وجدت نفسها مضطرة إلى قبول تعديل شروط هذه المعاهدة في مؤتمر عُقد في لندن وأطلق عليه معاهدة لندن لحياذ البحر الأسود عام 1871؛ حيث سُمح لروسيا بالإبحار وبناء السفن واستخدام البحر الأسود للوصول إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط.

## المقدمة

كان اهتمام بريطانيا بالدولة العثمانية حتى بداية القرن الثامن عشر بسبب ما بينهما من علاقات تجارية، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر - وتحديداً من عام 1768-1774 - كان هناك حروب دائرة بين روسيا والدولة العثمانية، ولم تبد بريطانيا أي اهتمام في تلك الفترة بمنطقة شرق البحر المتوسط والبحر الأسود والمضائق<sup>(1)</sup>، وكانت السفن الروسية تسير من بحر البلطيق إلى البحر المتوسط حتى اليونان بموافقة بريطانية ضمنية؛ لأنها لم تكن تشكل خطراً عليها، وفي أواخر القرن الثامن عشر كانت بريطانيا قد أقامت إمبراطوريتها في الشرق، التي أصبح لها أهمية كبيرة في السياسة البريطانية، وكان لهذه المستعمرات طرق مواصلات يجب على بريطانيا أن تحافظ عليها<sup>(2)</sup>.

والواقع أن اهتمام بريطانيا بالبحر الأسود والمضائق العثمانية ينبع - أساساً - من اهتمامها بالبحر المتوسط والشرقين الأدنى والأوسط، باعتبارهما أماكن مهمة في السياسة الخارجية البريطانية؛ كون هذه المناطق محوراً أساسياً لبريطانيا من الناحية الإستراتيجية والسياسية والعسكرية والتجارية<sup>(3)</sup>.

وكانت بريطانيا تعمل دائماً على توفير الأمن فيما يتعلق بالبحر الأسود والمضائق، وتبدي خشيتها دائماً من رغبة روسيا في الوصول إلى البحر المتوسط عبرهما؛ لذلك فقد عملت عبر عقود من الزمن للحفاظ على الوضع القائم في هذه المنطقة<sup>(4)</sup>، وكان ذلك نابعاً من اهتمام بريطانيا بالهند وطرق المواصلات إليها، وهذا ما أدى - في النهاية - إلى مقاومة النفوذ الروسي، ليس في البحر الأسود والمضائق فقط؛ بل في عموم البحر المتوسط والخليج العربي والبلقان أيضاً<sup>(5)</sup>.

وفي ظل إصرار روسيا على الوصول إلى البحر المتوسط عبر البحر الأسود والمضائق، استلزم الأمر تعاوناً بريطانياً عثمانياً، وذلك بعد أن اتضح أن البحر الأسود والمضائق سيؤديان إلى صراع على البحر المتوسط، خصوصاً أن روسيا تدعي حقاً تاريخياً وجغرافياً - كي تصبح قوة بحرية - في البحر المتوسط لتصل إلى المناطق الآسيوية<sup>(6)</sup>.

## احتجاجات روسيا على معاهدة باريس 1856

لم تتغير السياسة الخارجية بالنسبة إلى حزب الأحرار البريطاني؛ فقيادة هذا الحزب أبدوا اهتماماً أكثر بكثير من غيرهم فيما يتعلق بالمسائل الداخلية ومسائل النمو والتنمية وكذلك التوسع الخارجي، ومنذ أيام رئيس الوزراء البريطاني بت Pitt، ساد الاعتقاد بأن بريطانيا ليست غافلة عن خصومها، خصوصاً ما يتعلق بالمصالح الفرنسية أو الروسية، وقررت بريطانيا عدم التساهل فيما يتعلق بالنفوذ البريطاني أو هيبة بريطانيا في العالم<sup>(7)</sup>.

ولقد تقلد العديد من الأشخاص من حزب الأحرار منصب رئيس الوزراء في بريطانيا، ومنهم اللورد بالمرستون Palmerston المعروف بقوة سياسته الخارجية، ومن بعده كلارندون Clarendon، وبعد فترات قصيرة من سيطرة حزب المحافظين "غير المهمة" جاء جلاستون Gladstone ليتولى قيادة الحكومة التي شكلها عام 1868 لأول مرة وأصعبها بسبب المشكلات الداخلية والخارجية، التي أثارت الرأي العام في بريطانيا<sup>(8)</sup>.

وكانت روسيا قد قبلت معاهدة باريس عام 1856 التي فُرضت عليها بعد هزيمتها من قبل بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية في حرب القرم 1853-1856؛ حيث نصت هذه المعاهدة في المادة 11 على "إقرار حياد البحر الأسود، وأنه لا لزوم لبقاء التحصينات البحرية الحربية، وأن البحر الأسود مفتوح لجميع الأمم، مع منع دخول السفن الحربية فيه سواء للدول التي لها شواطئ عليه أو لغيرها<sup>(9)</sup> وكان واضحاً أن المقصود هو روسيا في هذه المعاهدة، وكانت مسألة حياد البحر الأسود التي تضمنتها بنود معاهدة باريس 1856 إرثاً آخر من المتاعب التي ورثتها حكومة جلاستون؛ حيث اعتبرت روسيا أن شروط هذه المعاهدة قد عرقلت عمليات الشحن والإبحار ووضعت ترتيبات محدودة لقواتها البحرية والعسكرية، "وألحقت العار بالروح الوطنية الروسية"<sup>(10)</sup>؛ الأمر الذي اعتبرته روسيا ظلماً وحيفاً حاق بها من قبل القوى الأوروبية، وكان القيصر يعد مواد هذه المعاهدة بشأن حياد البحر الأسود بمنزلة "وصمة عار اعترت فترة حكمه"<sup>(11)</sup>، من خلال إعلان حياد البحر الأسود، وفتح مياهه أمام السفن

التجارية من جميع الدول، وعدم السماح لأي سفينة حرية بالدخول إليه وبناء ترسانتها البحرية أو الحرية فيه، وكان واضحاً أن روسيا كانت متضررة للغاية من هذه المعاهدة، وقالت إنها ستحاول الخروج من هذا القيد الإجباري الذي يقيد حركتها<sup>(12)</sup>.

ولقد كان لدى روسيا العديد من المعطيات للتعامل مع هذه المسألة، ومن ذلك رغبتها العارمة في إضعاف الدولة العثمانية، وامتلاكها جيشاً قادراً على عبور نهر الدانوب، واستعداد الأقليات المسيحية - خصوصاً الأرثوذكسية منها - للتعاون مع التوجهات الروسية من أجل إلغاء معاهدة باريس التي ينظر إليها القيصر على أنها "عار قومي" National Dishonor، و "إهانة عظمى"، كما أن الرأي العام الروسي كان يزداد عداءً وكرهية للدولة العثمانية، لذلك فقد عمل الروس على انتهاج سياسة تمتاز بروح المغامرة للوصول إلى أهدافهم باتباع التقاليد الدبلوماسية دون إثارة أزمة كبرى، خشية التورط في حرب أوروبية عظمى<sup>(13)</sup>.

ولم يمض وقت طويل حتى كان برونو Brunnow السفير الروسي في لندن، قد أعلن في إفادات له بتاريخ 30 إبريل و12 مايو 1866 أن إغلاق المضائق ربما كان ضرورة سياسية لروسيا في عام 1856، لكنها فقدت قيمتها الأصلية في عام 1866<sup>(14)</sup>.

وربما كان لدى القوى الأوروبية بعض البدائل في ذلك الوقت؛ فبدل البحث في قضية حياد البحر الأسود كان يمكن أن يكون هناك بدائل أخرى مثل الاستعداد لتقديم تنازل لروسيا، كاسترداد بيسارابيا Bessarabia من الدولة العثمانية، كما أظهرت برقية برونو عام 1866؛ حيث طالب - بناء على تعليمات من حكومته - ببحث هذه المسألة<sup>(15)</sup>.

وخلال السنة نفسها تحدث القيصر الروسي ألكسندر Alexander إلى فون مانتفيل Manteuffel، الذي كان في مهمة إلى العاصمة الروسية سان بطرسبرج St-Petersburg، وطلب إعادة النظر في معاهدة باريس، معتبراً أن روسيا لا يمكن لها أن تنسى فكرة تعديل المعاهدة، واستمر القيصر في مباحثته المعتادة من أجل تحقيق ذلك الأمر<sup>(16)</sup>.

وكان اللورد جرانفيل Granville - وزير الخارجية في حكومة جلادستون - قد أكد ما كان قد قاله بالمرستون من قبل في مجلس اللوردات، حين قال له الجنرال الروسي إجناتيف General Ignatieff منذ كان سفيراً لروسيا في استانبول: "لا نعتقد بأن شروط المعاهدة ستدوم طويلاً"، فرد اللورد بالمرستون عليه وأجاب: "إنها سوف تستمر عشر سنوات"، ثم قال في وقت لاحق: "حسناً.. في جميع الحالات سوف تستمر المعاهدة طيلة حياتي" (17).

لكن جلادستون كان قد أعلن عن رأي تاريخي مغاير في عام 1856، كثيراً ما تكرر بعد ذلك بشأن حياد البحر الأسود؛ كون المسألة قضية رأي عام، بعيداً عن أنها ترتيبات مرضية، كما قال جلادستون إن روسيا قد تستأنف مخططاتها العدوانية ضد تركيا، التي من شأنها أن تعني شيئاً لبريطانيا، بينما حياد البحر الأسود لا يعني شيئاً، وفي الوقت نفسه، فإن المسألة سلسلة من العثرات أعمق بكثير مما يتوقع كثير من الناس (18).

كان الموقف الأوروبي في ذلك الوقت يسير بشكل جيد للغاية من وجهة نظر المصالح الروسية، ويمكن عكس هذه الصورة بأن أوروبا كانت هادئة ومنشغلة ولم تكن ترغب في فعل أي شيء بعد سلسلة من الحروب في أوروبا، وهذا ما عرفته روسيا جيداً واستغلته إلى أكبر حد ممكن (19).

لذلك بدأت روسيا تعلن - عبر ممثلها في الدول الأوروبية وبشكل واضح لا لبس فيه - عدم قبولها بمعاهدة باريس 1856؛ حيث قام إجناتيف - السفير الروسي في استانبول - في أغسطس 1870 بعرض قضية البحر الأسود على الدولة العثمانية من جديد، لكن الصدر الأعظم عالي باشا رد بأهمية عدم إحداث أي تغيير حول حياد البحر الأسود وفقاً لمعاهدة باريس وعدم فتح المضائق، على الرغم من أن إجناتيف أكد لعالي باشا أن روسيا ليس لديها أي رغبة تناقض ومسألة تكامل الدولة العثمانية استقلالها (20).

وفي أغسطس 1870، أثير الرأي العام في بريطانيا بسبب التقارير الصحفية من فيينا وغيرها حول المفاوضات التي تجري بين الجنرال إجناتيف والصدر الأعظم عالي باشا بشأن إلغاء الاشتراطات المرفوضة من قبل روسيا في معاهدة

باريس؛ حيث أكد إجناتيف في برقية له أن شروط الدول الغربية على بلاده كانت مواتية لمصالح بلاده الشرقية سابقاً، وأنه يعتقد أن من واجبه إعداد عقول الوزراء الأتراك لاستيعاب الهدف من السياسة الروسية في هذا الصدد، التي تتركز على إعادة النظر في معاهدة باريس 1856<sup>(21)</sup>.

## روسيا واستغلال الوضع الأوروبي لإلغاء حياد البحر الأسود

استغلت روسيا هزيمة فرنسا في معركة "سيدان" Sedan في 2 سبتمبر عام 1870 على يد بروسيا؛ بل أمعنت في استغلالها وعدم تضييعها؛ حيث انقلبت موازين القوى في أوروبا وأصبحت فرنسا عاجزة عن مساعدة بريطانيا في مواجهة روسيا<sup>(22)</sup>.

وقد قالت صحيفة سان بطرسبرج Journal de Pétersbourg: إن روسيا لم تمنع توحيد ألمانيا، لذلك فإن لروسيا "حق تحسين موقفها في البحر الأسود ونهر الدانوب"، كما قام إجناتيف بمناقشة هذه القضية مجدداً مع عالي باشا الصدر الأعظم العثماني من أجل تنقيح محتمل لمعاهدة باريس، وكانت التعليمات الروسية هي تسهيل كل العقبات في هذا الاتجاه تمهيداً للحظات الحاسمة<sup>(23)</sup>.

وبعد أيام من نهاية هذه الحرب، قام وزير الخارجية الروسي "ألكسندر جورشاكوف" Alexander Gorchakov باستطلاع موقف السفير البروسي في سان بطرسبرج "روس" Reuss حول إمكانية إلغاء حياد البحر الأسود الذي نصت عليه معاهدة باريس عام 1856؛ الأمر الذي يستدعي تعديل المعاهدة، وقد حصل جورشاكوف منه على وعد بتعريض هذا الطلب عند بسمارك Bismarck والقيصر الألماني "وليام الأول" William I؛ وذلك من أجل مساندة روسيا في إلغاء "المواد المذلة" الواردة في معاهدة باريس بشأن حياد البحر الأسود، وفي اجتماع الحكومة الروسية في 27 أكتوبر 1870 أخبر القيصر حكومته بنيتة التحرك في هذا الأمر، وبعد إجماع الوزراء على ذلك قام جورشاكوف بإعداد مذكرة باسم القيصر وحكومته في 30 أكتوبر لإرسالها إلى حكومات الدول الموقعة على

معاهدة باريس، وذلك من خلال سفراء روسيا في هذه الدول<sup>(24)</sup>، يؤكد فيها أن بلاده لم تعد ملزمة المواد التي تمنعه من ممارسة حقوقه السيادية في البحر الأسود<sup>(25)</sup>.

وجاء في هذه المذكرة أن معاهدة باريس وضعت روسيا في مركز سيئ للغاية، وذلك بالمقارنة مع بقية القوى الأوروبية الموقعة على هذه المعاهدة، لذلك فإن القيصر يرى نفسه مضطراً لأن يعلن أنه غير ملزم هذه المعاهدة بما تقرر من تحديد عدد السفن الحربية التي يكون لروسيا والدولة العثمانية حق الاحتفاظ بها في البحر الأسود وتحديد حجمها ونوعيتها، وأن هذه البنود المجحفة أصبحت لا قيمة لها<sup>(26)</sup>، وأعلن القيصر أنه على استعداد تام لتمكين السلطان العثماني من استعادة الحقوق السابقة نفسها التي كان يتمتع بها بشأن البحر الأسود والمضائق، مؤكداً أن روسيا لا ترغب في إحياء المسألة الشرقية من جديد، وأن روسيا جاهزة تماماً لتجديد أو إعادة تبويب أو إضافة نصوص جديدة لمعاهدة باريس<sup>(27)</sup>.

### موقف الحكومة البريطانية المبدئي من المطالب الروسية

كانت بريطانيا هي القوة الوحيدة التي يمكن أن تعارض تعديل معاهدة باريس بالقوة، لكن كان يجب التذكر أن اللورد رسل Russell اعترف في عام 1866 بأن أي تنقيح لنص معاهدة باريس وروحها سيؤدي إلى تغييرها؛ الأمر الذي دفع جورشاكوف إلى القول: "في وجود سابقة من هذا القبيل، رأت روسيا العمل على تفعيل هذه المسألة، وضمان الأمن من خلال تعديل المعاهدة فيما يتعلق بحياض البحر الأسود، وإن عدم القيام بذلك يعد - من وجهة نظر روسيا - بمثابة كسر للتوازن القائم في الشرق بموجب معاهدة باريس 1856 على حساب روسيا. القرار الذي اتخذته روسيا في أغسطس يؤكد أنه ليس لدى روسيا أي أهداف غير استعادة وجودها في البحر الأسود، وأن روسيا لن تقبل ترك سلامة سواحلها. وأنها في حال عدم القيام بتعديل المعاهدة ستشكر الدول على الصفقة التي لم تعد تُحترم"<sup>(28)</sup>.

## موقف جلادستون من المطالب الروسية

أرسل جلادستون مذكرة إلى اللورد جرانفيل بشأن مطالب روسيا تعديل بنود معاهدة باريس قال فيها: "إن الحصول على فرصة جيدة للحصول على المزايا هو شيء، وإجبارنا بحد السيف للحصول عليها يُعد شيئاً مختلفاً للغاية"، وعد جلادستون أن "المسألة ليست مسألة إبداء رغبات من جانب روسيا، وأنه ينبغي أن تُدرس هذه المسألة بعناية وبروح ودية من جانب الدول الموقعة"، ولقد غضب جلادستون في ذلك الوقت ليس من جوهر المطالب الروسية، ولكن من خلال العريضة المرسلة وطريقة الطلب من قبل روسيا لتعديل المعاهدة<sup>(29)</sup>.

كما كتب جلادستون إلى جرانفيل مجدداً، وقال: "إنه قد يكون جيداً أن أقابل برونو إما معك أو وحدي . . . والمعارضة البريطانية هي - في العادة - مثابرة في الحفاظ على التقاليد التاريخية، وأنا لا أتصور أن يكون ذلك صحيحاً، ويجب علينا أن نتخلص من الأخطاء، وأتمنى أن يكون برونو كذلك"<sup>(30)</sup>.

وبصرف النظر عن أي شكل من أشكال المطالبة الروسية، فالرأي العام البريطاني كان لا يزال حذراً فيما يتعلق بالمسألة الشرقية؛ حيث كان جلادستون يرى أن المسألة الشرقية ما زالت حية أكثر من أي وقت مضى، وهذا ما أكدته جلادستون لجرانفيل في 4 أكتوبر 1870 حين قال: "الجميع في مثل هذا الوقت ينظر إلى الغنائم، وسيكون من الصعب إقناع أوروبا بأن تركيا ليست جائزة عادلة"<sup>(31)</sup>.

وقد أخبر برونو اللورد جرانفيل في 1 نوفمبر 1870 "أن معاهدة باريس دمرت التوازن السياسي في الشرق على حساب روسيا، وأن القيصر الروسي سيكون مرغماً على استعادة حقوقه السيادية التاريخية، وأن تقييد وجود دولة كبيرة مسألة غير طبيعية، ولا يمكن أن تُترك السواحل الجنوبية لروسيا تحت رحمة الصدفة أو النزوات"، وتساءل برونو: "ماذا سيكون شعور روسيا إذا ما كانت انكلترا نفسها في ظروف مماثلة"<sup>(32)</sup>.



## موقف هنري إليوت من المطالب الروسية

كان السفير البريطاني في استانبول هنري إليوت Henry Elliott يدعم بقوة استقلال الدولة العثمانية وتكاملها، وكان دائماً يقوم بحث حكومة بريطانيا على دعم مصالح الدولة العثمانية في مواجهة روسيا<sup>(33)</sup>، وعندما قام عالي باشا بمصارحة هنري إليوت بالمطالب الروسية بشأن تعديل معاهدة باريس وتنقيحها أرسل إليوت برقية إلى جرانفيل في 4 نوفمبر 1870، عبر فيها عن اعتقاده الجازم بحاجة الدولة العثمانية لجميع أنواع الدعم، بما فيها الدعم العسكري والمالي؛ وذلك لمقاومة المطالب الروسية، ونبه على أهمية الإبقاء على بنود معاهدة باريس الخاصة بحياد البحر الأسود من أجل الدفاع عن الدولة العثمانية على أساس أن "حياد البحر الأسود يُعد ضماناً أكثر تأثيراً وواقعية من بقية الضمانات التي وقعتها جميع الدول العظمى مجتمعة" <sup>(34)</sup>.

لم يستطع إليوت تقديم إجابة مشجعة للصدر الأعظم في ذلك الوقت، خصوصاً أن جلاستون عدّ إليوت لم يتحل بالعقلانية اللازمة في رسائله الدائمة والعاجلة بشأن الدولة العثمانية، وأن آراءه من الممكن أن تكون معوقة وغير مفيدة لاستقرار الوضع "الراهن" وبقائه، وأن آراءه تعدّ في غير محلها، كما أن جرانفيل لم يصغ هو الآخر لآراء إليوت<sup>(35)</sup>.

لقد لقي طلب إليوت هذا قبولاً ضئيلاً القيمة في لندن، حيث كتب جلاستون إلى جرانفيل معلقاً على إمكانية تقديم المساعدات اللازمة للباب العالي بالقول: "إن السياسة التي تم اتباعها إبان حرب القرم تُعد الآن - في مجملها - سياسة عامة، وذات قيمة ضئيلة إلى حد كبير، كما أن التصور الخاص بإمكانية تدخل عسكري آخر لصالح الدولة العثمانية سواء كنا بمفردنا أم مع حلفاء لنا؛ لهي فكرة تستحق السخرية" <sup>(36)</sup>.

في ذلك الوقت تلقى برونو المذكرة الروسية وهو في لندن يوم 9 نوفمبر 1870، لكن قبل أن يسلمها، قام أندرو بوكانان Andrew Buchanan - السفير البريطاني في سان بطرسبرغ - بإبلاغ جورشاكوف عن الشائعات التي وصلت إليه

حول نوايا روسيا المزمعة بهذا الشأن، وأبلغه أنه لا يعتقد بصدق هذه الشائعة، لكن إن ثبت تأكيد هذه الشائعة؛ فإنه سيكون مضطراً لطلب جواز سفره كعلامة على قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وعلى الرغم من أن بوكانان كان قريباً جداً من التأكد من هذه الإشاعة؛ فإنه لم يطلب جواز سفره<sup>(37)</sup>.

## موقف جرانفيل من المطالب الروسية

قام جرانفيل في 10 نوفمبر 1870 بالاحتجاج رسمياً على المذكرة الروسية<sup>(38)</sup>، قائلاً: "ما نحتاج إلى معرفته هو التمسك بقوة بأن مبدأ التخلي عن تعديل أي بند أو أكثر من المعاهدة يعود فقط إلى الحكومات ذات العلاقة المباشرة التي وقعت على المعاهدة. وقد علم جورشاكوف - على ما يبدو - هذا الأمر وهدف إلى دعم هذه المطالبة بتعديل بنود المعاهدة من قبل الدول الموقعة عليها أو بعضها على الأقل، ومن وجهة نظره فإن الدول الموقعة قد لا تقاسم جورشاكوف وجهة نظره، وبذلك من الممكن أن تلجأ روسيا إلى التصرف منفردة. إن أهمية هذه المعاهدة تكمن في الإبقاء عليها وعلى قوتها وفعاليتها، وألا تخضع لرغبات كل دولة على حدة؛ إذ إن النتيجة ستكون - بلا شك - تدميراً كاملاً للمعاهدات في جوهرها؛ إذ إن الهدف الوحيد للمعاهدات هو ربط السلطات بعضها ببعض، ولتحقيق ذلك يجب على كل طرف أن يتنازل عن جزء من حريته في العمل. وأنه إذا لجأ طرفان معاً - روسيا والدولة العثمانية - وبشكل فردي من أجل تعديل المعاهدة فلن يكون ذلك ملزماً للآخرين"<sup>(39)</sup>.

وخلص جرانفيل إلى القول: "إن بريطانيا العظمى رفضت النظر في هذه المسألة جنباً إلى جنب مع غيرها من الدول الموقعة على المعاهدة، على الرغم من تأكيدات روسيا حول التزامها بالمعاهدة وعدم مخالفة بنودها، وأن ما تقوم به روسيا كان بسبب الظروف "المتغيرة" في أوروبا"<sup>(40)</sup>.

وفي مقابلة أخرى بين جرانفيل وبرونو، قام الأخير في معرض رده على الادعاءات البريطانية بأن تكون نصوص المعاهدة منسوخة شرعاً من خلال موافقة جميع الأطراف الموقعة عليها، وأشار إلى سابقتين حدثتا قبل ذلك، الأولى: في

عام 1864 حين دارت المفاوضات في لندن بالنسبة إلى الشؤون الدانماركية، عندما أذعن اللورد راسل واللورد كلارندون لانسحاب بروسيا والنمسا من معاهدة لندن عام 1852، والثاني: في عام 1866 في حالة ضم بروسيا، وذلك عندما قبل وزير الخارجية البريطاني - آنذاك - اللورد إدوارد ستانلي Edward Stanley بالتوصل من معاهدة فيينا عام 1815. علاوة على ذلك لاحظ السفير الروسي برونو أن مبدأ حياد البحر الأسود لم يكن فكرة إنجليزية ولكنها فرنسية، وأن الظروف التي كان فيها نابليون قد تصور هذه الفكرة لم يعد لها وجود، ومن ثم خلس برونو إلى أنه من الضروري الاستبدال الدولي لمبدأ ينطبق على "نظرية كاذبة خالية من الآن فصاعداً من قيمتها العملية" (41).

وفي مقابلة أخرى بين برونو وجرانفيل قال الأخير: إن المفاجأة بإعلان الاحتجاج الروسي على بنود معاهدة باريس أساء بشدة لمجلس الوزراء البريطاني، ومع ذلك كان برونو قادراً على إبلاغ جورشاكوف بأن الحكومة البريطانية تفضل التفاوض لحل المشكلة القائمة بشأن حياد البحر الأسود، ما لم يضغط الرأي العام البريطاني بخلاف ذلك (42).

لذلك فإن جورشاكوف - وفي إطار رده على المواقف البريطانية بشأن الالتزام بمعاهدة باريس - عدّ أن روسيا كانت مستعدة للتفاوض مع الدول الموقعة على معاهدة باريس من أجل إجراء التعديلات اللازمة على البنود المعترض عليها من قبل بلاده، لكن مسألة إلغاء بعض البنود لم يكن شأن روسيا وحدها، على الرغم من أن روسيا بذلت جهوداً عديدة سابقة من خلال المفاوضات مع عدة أطراف لتعديل بعض بنود المعاهدة لكنها فشلت؛ مما جعل موقفها لا يطاق أكثر من ذي قبل (43).

ولقد سُلمت المذكرة الروسية إلى الحكومات الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا؛ الأمر الذي أثار ردود فعل غاضبة في بريطانيا خصوصاً من قبل الرأي العام، وبدرجة أقل لدى الحكومة؛ حيث إن حياد البحر الأسود كان له أهمية كبيرة لدولة تمتلك أكبر قوة بحرية في العالم، ولما لها من مصالح كثيرة لا يمكن نكرانها في الشرقين الأدنى والأقصى، لذلك فقد كانت مسألة موافقة حكومة

بريطانيا على مثل هذا الطلب الروسي تُعد بمثابة "جنون تام" (44)، وأن تصرف روسيا هذا يعتبر إهداراً لمبدأ احترام المعاهدات الدولية، وعملاً انفرادياً من جانبها (45).

## المحاولات العثمانية للحصول على دعم بريطانيا في مواجهة المطالب الروسية

أدت المطالب الروسية إلى توتر هائل داخل الدولة العثمانية في ذلك الوقت تحديداً؛، لأن هذه المطالب تعني فقدان مساعدة فرنسا للدولة العثمانية؛ الدولة ذات النفوذ الرئيس فيها، لذلك فقد عملت الدولة العثمانية على إيجاد بديل عن فرنسا في مواجهة روسيا وتمثل ذلك في بريطانيا، لذلك فقد التقى الصدر الأعظم عالي باشا السفير البريطاني في إستانبول هنري إليوت؛ وذلك لمعرفة ما يمكن لبريطانيا تقديمه من مساعدة، لكن وجود جلاستون على رأس الحكومة وجرانفيل وزيراً للخارجية، جعل من الصعوبة مساعدة الدولة العثمانية. فإلى جانب عدم تعاطف جلاستون مع الدولة العثمانية، كانت الحكومة البريطانية في حال ضعف وشلل بسبب الأحداث السيئة التي مرت بها القارة الأوروبية، مثل الحرب البروسية - الفرنسية، وعليه فقد كان شبه مؤكد أن بريطانيا لن تقوم - على المدى القصير - بأي عمل ضد روسيا في الشرق الأدنى (46).

على الرغم من ذلك قام الصدر الأعظم عالي باشا في 14 نوفمبر 1870 بالحديث مجدداً مع السفير البريطاني في استانبول هنري إليوت؛ حيث عبر له عن أمله ألا يجد الباب العالي نفسه معزولاً عن حلفائه، وأبدى عالي باشا رغبته في تعاون مثمر مع بريطانيا وفرنسا (47)، وفي اليوم نفسه كان جرانفيل قد اجتمع مع -السفير العثماني في لندن- موزوروس باشا؛ حيث أعلن الأخير "أن بلاده لن تُسلم بالادعاءات الروسية، وأنه في حال قيام روسيا بإلغاء أي مادة من مواد معاهدة باريس عام 1856؛ فإن الدولة العثمانية سيكون من حقها إلغاء كل تعهداتها مع روسيا، وأنها ستتخذ كل الإجراءات المناسبة تحسباً لأي نتائج قد تتمخض عن ذلك، وعندما علم جرانفيل بذلك عمل على تهدئة الموقف؛ حيث

نصح الباب العالي بعدم الإقدام على أي خطوة متهورة، وألا يتصرف دون التشاور مع بقية القوى الأوروبية الموقعة على معاهدة باريس<sup>(48)</sup>.

وفي لقاء آخر بين عالي باشا وإليوت في 17 نوفمبر، رأى عالي باشا أن أمام القوى الأوروبية ثلاثة خيارات للعمل، هي:

- 1 - إعلان الحرب على روسيا.
  - 2 - إحالة المسألة كلها إلى مؤتمر دولي.
  - 3 - الاحتجاج على المطالب الروسية باعتبار ذلك تهديداً للمعاهدات.
- وذكر عالي باشا أنه في حال قيام الحرب فإنها ستكون حرباً دفاعية، وأنه يمكن للدولة العثمانية حينها استدعاء حلفائها إذا ما دعت الضرورة ذلك، وأضاف عالي باشا: "إنني أعتقد أن باستطاعتي ضمان عدم دخول الدولة العثمانية الحرب؛ مادامت حكومات الدول الحليفة عدت الخيار الثالث هو الخيار الأفضل لمصالح الدولة العثمانية"<sup>(49)</sup>.

### بدايات تبلور الموقف الرسمي البريطاني من المطالب الروسية

كتب جرانفيل إلى جلادستون وهو في قلعة هورادن Hawarden في 21 نوفمبر 1870 قائلاً: "أنا آسف جداً لسماع أنك لست بخير. بالطبع يجب أن نتلافى أي خطر، وأنت تستطيع بأسرع وقت ممكن فعل ذلك، وحالما تفعل ذلك أتمنى أن تخرج لمجلس الوزراء. إن تشايلدرز Childers هنا. يقول لي إن هناك صراحاً كبيراً حول الوزراء غير الأوفياء. لقد كان أكثر هدوءاً في حديثه مما كنت أسمع من بعض زملائنا. يقول: إذا كان لا بد من الحرب، فكل يوم نخسره سيكون ضرره كبيراً علينا. لقد قلت له إنه من المستحيل أن يقول ذلك ونحن مدفوعون من قبل روسيا، أو من قبل قوى أجنبية أخرى، أو من قبل شعبنا، وإنه يجب الأخذ بعين الاعتبار كرامتنا، وإذا كان هناك أي حكومة في أي وقت مضى ليست ملزمة بالانجراف إلى حرب لا داعي لها، فإنها نحن"<sup>(50)</sup>.

وفي سياق رده أجاب جلادستون على جرانفيل في اليوم التالي - 22 نوفمبر 1870 - حيث قال: "إنني أملك القدرة على القول بصراحة إنني مشمئز

كثيراً للغة التي قرأتها في الصحف خلال الأيام القليلة الماضية حول الحرب المباشرة مع روسيا. أنا أحاول أن أضع نفسي في موضع التحقق لمنع رد الفعل التي تولدها. ملاحظتكم حول الانجراف للحرب هي كثيرة، على الرغم من أنني أعتقد دائماً أن توصيف كلارندون في هذه الحالة غير مناسب وغير قابل للتنفيذ... ولكن لا شيء أكثر شبهاً من أن ينجرف المرء إلى اللجوء إلى أي تدابير عسكرية أياً كان الأمر؛ إلا مع الإشارة إلى بعض الوقائع الفعلية أو بعض الظروف الطارئة المحددة جيداً<sup>(51)</sup>.

كانت اجتماعات الحكومة البريطانية مفتوحة لمواجهة ما قد تتمخض عنه المذكرة الروسية؛ لأن المذكرة حتى ذلك الحين قوبلت بصمت أو بإيماءات الاحتجاج عليها، في حين كان من الممكن قيام روسيا بإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية فيما إذا رفضت تعديل المعاهدة، وكانت الحكومة البريطانية بحاجة كثيراً لمعرفة إذا ما كانت ألمانيا لجانبها أو إلى جانب روسيا، وأنه إذا كانت الإجابة الألمانية لا تسر بريطانيا، فينبغي حينها على الأخيرة أن تبذل جهداً أكبر لعقد تحالف هجومي مع فرنسا والنمسا وإيطاليا وتركيا للحد من قوة روسيا في الشرق وألمانيا في الغرب<sup>(52)</sup>.

وكانت الخطة قبل الأخيرة لبريطانيا هي الانتظار بصمت وكأن شيئاً لن يحدث لصالح روسيا، بينما كانت الخطة الأخيرة لبريطانيا هي عقد المؤتمر لتعديل معاهدة باريس وفقاً لمطالب روسيا؛ الأمر الذي يكاد يكفي لإرضاء الجميع في مجلس الوزراء البريطاني، وعلى الأقل ليحفظ بريطانيا من جنون الحرب التي من شأنها أن تزيد الوضع الأوروبي ارتباكاً، لمجرد الحفاظ على "بعض البنود عديمة القيمة لأحد"<sup>(53)</sup>، وإلا فإن بريطانيا ستضطر للذهاب إلى الحرب بمفردها دفاعاً عن بنود معاهدة باريس، لكنها في ذلك الوقت لم تكن قادرة على اتخاذ قرار بارتكاب أي "حماقة" بمثل هذه الطريقة<sup>(54)</sup>.

## بسمارك ودعم المطالب الروسية

كان بسمارك قد أعلن أنه فوجئ من المذكرة الروسية بشأن تعديل بنود

معاهدة باريس؛ وذلك لأن مصلحة روسيا لم تكن لمناقشة قضية الشرق قبل التحطيم الكامل لفرنسا<sup>(55)</sup>، على الرغم من أن بسمارك أعلن أنه يعارض المطالب الروسية؛ حيث طالب بعقد مؤتمر دولي لإعادة النظر في المواد الخاصة بالبحر الأسود والمضائق، الواردة في معاهدة باريس، وكان بسمارك يهدف من موقفه هذا مكافأة روسيا على حيادها إبان الحرب البروسية - الفرنسية عام 1870<sup>(56)</sup>، وعلى الرغم من ذلك كان البديل عن التصعيد مع روسيا من قبل بريطانيا يكمن في التفاوض مع بروسيا في هذه المسألة، لذلك عمل جلاستون وجرانفيل معاً من أجل تسوية هذه الأزمة من خلال المفاوضات المباشرة مع بسمارك على اعتبار أنه وسيط بين بريطانيا وروسيا، ودون أي اعتبار لمواقف الدولة العثمانية والنمسا<sup>(57)</sup>.

لذلك أرسلت بريطانيا أودو رسل الذي غادر لندن إلى فرساي في 12 نوفمبر 1870 في مهمة خاصة لملك بروسيا، وكان من المأمول أن يحقق رسل نجاحاً ملحوظاً في مهمته هذه<sup>(58)</sup>، حيث اجتمع رسل مع بسمارك يوم 21 نوفمبر في مقر القيادة البروسية في فرساي للتشاور<sup>(59)</sup>، وأمضى معه محادثة استمرت 3 ساعات، وقد أخبره بسمارك أن المذكرة الروسية أخذته على حين غرة، على الرغم من أنه دائماً كان يعتقد بأن معاهدة باريس 1856 كانت صعبة جداً على روسيا، لذلك رفضها بسمارك تماماً، وأكد أن كل ما كانت تحتاج إليه هو الأسلوب والوقت المناسبان لتنقيحها، على الرغم من أن بسمارك أكد أنه لا يرغب في التدخل ولا حتى إبداء الإجابة تجاه المذكرة الروسية، مؤكداً أن الهدف الآخر للمؤتمر هو منع اندلاع الحرب. ولقد انتهت هذه المحادثة بين رسل وبسمارك الساعة الرابعة مساءً، ثم استأنفت الساعة العاشرة مساءً حتى ما بعد منتصف الليل بنصف ساعة؛ حيث قال رسل عن بسمارك: "شعرت أنني أعرفه على نحو أفضل"<sup>(60)</sup>.

تكمن أهمية هذا الاجتماع المهم في أن بسمارك صاغ "اقتراحاً" لعقد مؤتمر للقوى المهمة بمسألة حياد البحر الأسود في استانبول بدلاً من سان بطرسبرج، لذلك في مساء اليوم ذاته أعلن بسمارك أنه أخذ زمام المبادرة لاقتراح

عقد مؤتمر لإيجاد حل سلمي للنزاع، و"أنه إذا وافق جرانفيل على طلب عقد مؤتمر في سان بطرسبرج؛ فإن النتائج ستكون أسرع، وسيتمكن جرانفيل حينها من دعوة الحكومة الفرنسية للمشاركة" (61).

أما رسل فقد احتج على المذكرة الروسية بناء على تعليمات جرانفيل وأعرب عن رغبة حكومته بحل سلمي للأزمة وعدم النية في تصعيد الأمر الذي قد يصل إلى الحرب، خصوصاً "أن روسيا أعلنت رغبتها في تغيير المعاهدة ولم تقم بانتهاكها"؛ ولأن بريطانيا تهتم بجوهر المسألة أكثر من شكلها، فإن أحد الحلول السلمية الممكنة يكمن - من وجهة النظر البريطانية - في عقد مؤتمر تحضره جميع الدول الموقعة على معاهدة باريس؛ بحيث يمكن لروسيا من خلاله تقديم اقتراحاتها الخاصة بتعديل المعاهدة الملحقة بمعاهدة باريس (62).

كان بسمارك وحكومته تبنا موقفاً مؤيداً لروسيا كما في بداية الأزمة؛ بل يرى البعض أن إقدام روسيا على تقديم المذكرة إن لم يكن قد تم اقتراحه من قبل بسمارك مباشرة؛ فإن روسيا كانت قد حصلت - بالتأكيد - على موافقته، لذلك فإن جورشاكوف استمر في تأكيد مطالب بلاده، وكان واثقاً في أن بسمارك يدعم موقفه، كما أن بسمارك كان واثقاً أيضاً في أن بريطانيا "رغم أنها سوف تنجح؛ فإن نباحها هذا لن يدوم طويلاً"، كما كان مقتنعاً بأن بريطانيا ليس أمامها إلا طريقان، أحلاهما مر، فإما أن تُدعن للقيصر بشأن مطالبه الجريئة وإما أن تحارب القيصر دون حلفاء (63)، إلى جانب ذلك كان بسمارك يدرك تماماً أن أيّاً من القوى الأخرى لن تذهب إلى الحرب من أجل الدفاع عن حياد البحر الأسود في ظل هذه الظروف السيئة (64).

وتظهر براعة بسمارك الواضحة في أنه استطاع الوصول بنجاح إلى ما يريد، على الرغم من الصعوبات التي اعترضته في سبيل ذلك من خلال اتفاقه مع روسيا على عقد مؤتمر دولي، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول بسمارك - بكل ما يمكن - تأجيل رده الرسمي على مذكرة جورشاكوف حتى يستطلع مواقف بقية القوى الأوروبية ولاسيما بريطانيا (65).



## موقف الدولة العثمانية من المطالب الروسية

أما ما يتعلق بالدولة العثمانية، فإنها لم تتسلم مذكرة جورشاكوف إلا في 15 نوفمبر؛ حيث أبدى عالي باشا استياءه من المذكرة للقائم بالأعمال الروسي في إستانبول - "ستال" E.E.Staal - قائلاً له: "إنك تذهب بنا إلى الحرب"، ولقد عمل ستال كل جهوده لاسترضاء عالي باشا وطمأنته إلى أن روسيا لا ترغب في إثارة أزمة دولية بسبب حياد البحر الأسود والمضائق، وأنها بذلت كل جهودها للتوصل إلى اتفاق ثنائي ومباشر مع الباب العالي حول هذه القضية، ودون تدخل أي من القوى الأخرى<sup>(66)</sup>، وأوضح ستال إلى الصدر الأعظم عالي باشا أن روسيا ليس لديها نوايا عدائية أو سوء نية تجاه الدولة العثمانية، بل على العكس من ذلك فإن الحالة الشاذة التي وضعتها معاهدة باريس لروسيا كانت مصدر نزاع محتمل بين البلدين<sup>(67)</sup>، وعلى الرغم من استخدام روسيا أسلوب التهذئة هذا؛ فإنها عمدت أيضاً إلى استخدام سلاح التهديد بإثارة شعوب البلقان السلافية ضد الدولة العثمانية، وهذا ما كانت تضمته تعليمات جورشاكوف صراحة إلى ستال<sup>(68)</sup>.

لذلك قام عالي باشا بإخبار ستال بأن بلاده تحتاج إلى بعض الوقت من أجل التشاور مع حلفائها قبل إعطاء ردودها على المطالب الروسية<sup>(69)</sup>، بينما أظهرت الاتصالات الدبلوماسية أن الدولة العثمانية كانت على قناعة حقيقية بأن موقف بريطانيا من هذه القضية سيكون صارماً، فعلى الرغم من محاولة الصدر الأعظم تعظيم مخاوف النمسا - المجر من أجل الحفاظ على معاهدة باريس كما هي؛ فإن عالي باشا اضطر إلى الاعتراف في نهاية الأمر بأن موقف بريطانيا سيكون حاسماً في هذا الشأن<sup>(70)</sup>.

وكان الباب العالي يدرك تماماً أهمية معاهدة باريس بالنسبة إلى وجود الدولة العثمانية، كما كان مدركاً أن روسيا لن تتخلى عن مطالبها بشأن البحر الأسود ما لم يكن هناك موقف قوي ومتحد من قبل القوى الأوروبية، لهذا فقد سعت الدولة العثمانية منذ بداية الأزمة من أجل كسب ود الدول ونيل مساعدتها، إلا أن العديد من الشكوك بدأت تراود الباب العالي بشأن استعداد أي من القوى

العظمى الدخول في حرب مع روسيا من أجل الإبقاء على قرارات معاهدة باريس، بما فيها بريطانيا<sup>(71)</sup>.

## قبول أوروبا مبدأ عقد مؤتمر دولي

على أساس من الوقائع الموضوعية السائدة في أوروبا، كان هناك خلاف حقيقي بين الدول؛ حيث كتب جرانفيل إلى جلادستون معتبراً أنه لم يكن هناك أي شك في وجود ألمانيا وقوتها في باريس، وأن ألمانيا تأخذ دائماً بوجهة النظر الروسية الخاصة بأهمية تعديل معاهدة باريس، في حين قدمت فرنسا إحياءً بالموافقة حول هذا الأمر، وكذلك النمسا في وقت لاحق، كما فعلت إيطاليا الشيء نفسه، ولكنها لم تقرر ذلك رسمياً، ويضيف جرانفيل: "كثيراً ما قلت في العلن: إنه - باستثناء أنفسنا والأتراك - شاركت جميع الدول الموقعة على معاهدة باريس إعرابها عن وجهات النظر لصالح تعديل المواد السابقة - من معاهدة باريس - وفقاً لإعلان الأمير جورشاكوف"<sup>(72)</sup>.

أصبح واضحاً أن المسائل جميعاً تسير باتجاه عقد مؤتمر دولي للنظر في بنود معاهدة باريس، لذلك فقد عُقد العديد من جولات المفاوضات التي سبقت عقد هذا المؤتمر، وأظهرت أن كل الدول تسعى للحصول على تعويضات وضمانات لها بقدر ما تعدّه ضرراً يلحق بها من جراء تعديل المعاهدة، فقد سعت بريطانيا للحصول على ضمانات تؤكد احترام الجميع لقدسية المعاهدات، في حين عمدت النمسا إلى وضع قائمة من الإجراءات التي عدّتها ضرورية بشأن نهر الدانوب، أما الدولة العثمانية نفسها فقد عملت للحصول على ضمانات من القوى العظمى - خصوصاً روسيا - بعدم التدخل مستقبلاً في شؤونها الداخلية خصوصاً في البلقان، وأنه في حال صعوبة تحقيق هذه المطالب؛ فإن الباب العالي سيعمد حينها إلى التشديد على مطالب أخرى تتعلق بإجراء تعديلات على بعض المواد الخاصة بالمضائق لمصلحة السلطان<sup>(73)</sup>.

كانت مسألة عقد مؤتمر دولي تمثل للدولة العثمانية أسوأ البدائل التي عرضها عالي باشا على إليوت؛ وذلك بسبب الخوف العثماني من أن يمتد

النقاش إلى مسائل الأقليات والقوميات خصوصاً في البلقان، وعندما أيقن الباب العالي أنه لا مفر من عقد هذا المؤتمر، صرح السفير العثماني في لندن موزوروس باشا لجرانفيل: "أنه لا يمكن لهذا المؤتمر أن ينتهي لغير مصلحة الدولة العثمانية"<sup>(74)</sup>، ولعل موزوروس كان يريد أن يحقق ذلك بمساندة بريطانيا؛ إلا أن الأخيرة التي كانت في البداية قد وقفت تعارض بشدة المطالب الروسية بشأن حياد البحر الأسود، بدأت هي الأخرى تتجه نحو التوصل إلى تفاهات مع روسيا وبروسيا بشأن هذه المسألة، مما عدّ تراجعاً كبيراً عن سياسة بالمرستون التقليدية تجاه الدولة العثمانية، وأعلن جلاستون وجرانفيل أن حكومة بريطانيا ليس لديها اعتراضات رسمية - على الأقل - لتعديل معاهدة باريس فيما يتعلق بحياد البحر الأسود، وأن ما يثير الشك لدى بريطانيا وترفضه يتمثل في قيام طرف واحد دون الآخر بالإعلان عن إبطال المعاهدة؛ لأنها لا تفي بمصالحه، ومن ثم فإن الشكاوى الروسية - في حال تم الاعتراف بها - ستعد سابقة خطيرة من شأنها تقويض بنیان القانون الدولي بما يترتب عليها من اضطرابات في العلاقات الدولية<sup>(75)</sup>.

وقد ساق جلاستون الكثير من المسوغات لموقفه وموقف حكومته الأخير الذي يُعد معادياً للدولة العثمانية؛ حيث قال: "إنه لا يوجد خرق للمعاهدة حتى الآن، كما أن كل دولة من القوى الثلاث الموقعة على المعاهدة أصبحت في وضع لا يمكن معه الإيفاء بشروط المعاهدة بشكل تام"، كما عبر جلاستون عن أن "الدولة العثمانية طالما أعلنت عجزها عن دخول الحرب دون أن تُقدّم لها ما يلزم من مساعدات مالية، فإنه لا يمكن لبريطانيا حينها أن تضمنها"، أما جرانفيل فقد أعلن في 25 نوفمبر 1870 عن رغبته في أن تشارك جميع القوى العظمى في المؤتمر المقترح دون اتفاقيات مسبقة<sup>(76)</sup>.

كان الموقف البريطاني المتغير تجاه المطالب الروسية قد دفع موزوروس باشا إلى التعبير عن أسفه من موافقة حكومة بريطانيا المبدئي على فكرة عقد المؤتمر، مؤكداً في الوقت نفسه أن الحكومة العثمانية لا تستطيع القبول بتعديل معاهدة باريس، وأن القوى الأوروبية لا يمكنها القيام بأي عمل كان دون قبول

تام من الدولة العثمانية<sup>(77)</sup>، إلا أن هذا لم يكن ليغير من الأمر شيئاً، حيث أذعن الجميع للموقف الروسي المدعوم من بسمارك، وتبذلت وجهات النظر الخاصة بالمصالح المتوقع حدوثها بين بريطانيا والدولة العثمانية والنمسا، بل تمت صياغة البيانات والمذكرات الروسية والعثمانية التي ستعبر كل دولة من خلالها عن أهدافها ومطالبها في المؤتمر، كما تم عقد العديد من اللقاءات والاجتماعات بين جرانفيل وسفراء روسيا والدولة العثمانية والنمسا؛ وذلك لإيجاد تفاهات عادلة ومقبولة وغير عدائية في المؤتمر المقترح، كما قام جرانفيل بدور كبير للتوفيق بين هذه الدول بسبب معرفته المسبقة بالمطالب الروسية والعثمانية<sup>(78)</sup>.

### عقد المؤتمر في لندن وجدلية المكان

قبلت بريطانيا في 26 نوفمبر 1871 اقتراح عقد مؤتمر دولي لتعديل معاهدة باريس، كما قبلته روسيا في 27 نوفمبر وإيطاليا في 28 منه، أما الدولة العثمانية فقد قبلته في 1 ديسمبر، والنمسا في 2 ديسمبر، بينما ترددت فرنسا بشأن هذه المسألة، حيث دعا دي ج فافر de J Favre للتريث، محذراً من سوء نوايا بسمارك، وأبدى فافر خوفه من أن يسهم أي مؤتمر في زيادة النتائج السلبية على فرنسا بعد هزيمتها على يد بروسيا في معركة سيدان، وقد أدى تردد فرنسا هذا إلى تأخر مغادرة ممثلها إلى المؤتمر دوق بروجلي duc de Broglie؛ حيث شارك في مداولات لندن عندما اقترب المؤتمر من نهايته<sup>(79)</sup>.

وعلى الرغم من أن بريطانيا قبلت مبدأ عقد مؤتمر دولي فإن رسل أوضح لجلادستون في 27 فبراير 1871 أنه قاد الجدل حول إمكانية أن تجد بريطانيا نفسها مجبرة على خوض الحرب مع حلفاء أو من دونهم؛ للأسباب التالية:

- 1 - أنه كانت تربط بريطانيا بروسيا معاهدة واضحة، وأي تراجع واضح عن شروط معاهدة باريس وأحكامها يعد سبباً للحرب.
- 2 - أن افتراضات جورشاكوف بأحقية التخلي عن أحكام معاهدة باريس يعد

مساً مباشراً بالمصالح الروسية، وعلى ما يبدو يحمل معه افتراض وجود الحق في التخلي عن بقية أحكام المعاهدة.

3 - أن مواقف بروسيا بزعامة بسمارك الداعمة للمواقف الروسية - بشأن تعديل معاهدة باريس - لن تمنع بريطانيا من الذهاب إلى الحرب<sup>(80)</sup>.

ولقد بعث رسل برسالة غير رسمية إلى جرانفيل في 30 نوفمبر 1870 قال فيها: "يمكن التعبير عن ذلك بسهولة أكبر، إنني كنت قد عقدت العزم على إقناعه - بسمارك - بأنه ما لم يتمكن من حث روسيا على سحب المذكرة؛ فإننا حينها سنضطر للذهاب إلى الحرب مع أو بدون حلفاء"، لكن بسمارك "العنيد" بقي طويلاً يعلن شكوكه بأن بريطانيا ذاهبة إلى الحرب، غير أنه حذر - في الوقت نفسه - من العواقب في حال حدوث ذلك<sup>(81)</sup>.

قبل عقد المؤتمر المزمع من أجل تعديل معاهدة باريس كان لا بد من مفاوضات أخرى حول المكان المزمع عقد المؤتمر فيه، حيث قرت بريطانيا موافقتها على اقتراح تعديل المعاهدة بشرط أن يُعقد المؤتمر في لندن وليس في سان بطرسبرج، وأن لا يتم القيام بتعديل المعاهدة من قبل طرف واحد دون الآخر<sup>(82)</sup>، أما بسمارك فقد اقترح سان بطرسبرج مكاناً لعقد المؤتمر، بينما كان من المستغرب أن جورشاكوف اقترح لندن، في حين اعتقد برونو أنه من غير المرغوب فيه عقد المؤتمر في لندن، وعلى أرض الواقع كان برونو يرغب في التخلص من مساومة الحكومة البريطانية بالنسبة إلى عدد السفن التي تحتفظ بها روسيا في البحر الأسود، وقال برونو إنه يخشى أن يفشل المؤتمر في حال تم عقده في لندن، لكن بعد إعلان جرانفيل قبوله اقتراح جورشاكوف عقد المؤتمر في لندن قام برونو بسحب اعتراضاته في نهاية المطاف<sup>(83)</sup>.

كانت بريطانيا تعلم بوجود الكثير من الصعوبات في برنامج المؤتمر، لذلك كانت على استعداد للنظر بعين العطف تجاه المقترحات الروسية، شريطة أن يُعقد من دون أن يجرى أي شيء فيه ولا في نتائجه بناء على مذكرة جورشاكوف الذي تحدث - بدوره - إلى السفير البريطاني في سان بطرسبرج

فيما إذا كانت حكومته على استعداد لعدم بحث المذكرة الروسية في المؤتمر، فأجاب السفير البريطاني بنعم<sup>(84)</sup>.

في ذلك الوقت اقترح رئيس وزراء النمسا الكونت بويسست Count Beust أن يعقد "اجتماع تمهيدي" في استانبول بين ممثلي بريطانيا والنمسا وإيطاليا وتركيا بغرض تحديد الأسس التي سيقوم عليها مؤتمر لندن، خصوصاً مناقشة الضمانات التي ينبغي أن تكون بديلاً لمبدأ حياد البحر الأسود، لكن جرانفيل اعترض على هذا الاقتراح؛ الأمر الذي أشعر جورشاكوف بالإهانة<sup>(85)</sup>.

على الرغم من ذلك فقد بدأت المفاوضات بين القوى الأوروبية تمهيداً لعقد المؤتمر المزمع في لندن، وكان هناك ثلاثة مقترحات قدمها السفير الروسي في لندن برونو، وتم الاتفاق على القيام بمداولات أولية حول مراجعة أسلوب معاهدة باريس وفقاً لرغبات بسمارك، وكان يفترض بمثل هذه المداولة أن تتم في فترة قصيرة من أجل الوصول إلى نتيجة عملية، إلا أن بسمارك طالب بشرط لا رجعة فيه، وهو أن المسألة بين فرنسا وألمانيا لن تكون ضمن أعمال المؤتمر<sup>(86)</sup>.

لقد درس جرانفيل وبرونو تأسيس قاعدة اتفاق حول المؤتمر، مثل ظروف عقد المؤتمر وجدول أعماله، حيث بين جرانفيل أن الهدف من عقد هذا المؤتمر هو أن تحظى نتائجه بالإجماع من قبل القوى الأوروبية كافة، وعدّ جرانفيل "أن هذا الإجماع يوفر دليلاً لافتاً للنظر، على أن هذه القوى موجودة ومتفقة بشكل كامل على الحفاظ على القانون الدولي. فمن الضروري أن تكون الدول المتعاقدة على علم بشأن تغيير أو تعديل واحد أو أكثر من شروط المعاهدة، وأنهم مصممون في جميع الأوقات على الحفاظ على هذا المبدأ"<sup>(87)</sup>.

## افتتاح مؤتمر لندن 17 يناير 1871م

بعد الكثير من المفاوضات المتعلقة بالاجتماع وشكل النظام والإجراءات التي يتعين مراعاتها في المؤتمر، افتتح المؤتمر رسمياً في لندن يوم 17 يناير 1871، بحضور جميع سفراء الدول الأوروبية التي وقعت على معاهدة باريس

ممثلين عن بلادهم؛ حيث شارك موزوروس نيابة عن الدولة العثمانية، وبرونو ممثلاً عن روسيا، وأبوني ممثلاً عن النمسا، و"كارلو كادورنا" Carlo Cadorna عن إيطاليا، وكونت بيرنستورف Bernstorff عن ألمانيا، أما جرانفيل فكان ممثلاً عن بريطانيا ورئيساً للمؤتمر، كما أرسلت النمسا الكونت "أنتون زيشن" Anton Szechen لمساعدة أبوني، أما ممثل فرنسا جول فار Jules Favre فلم يحضر إلا الجلسة الأخيرة من المؤتمر فقط بسبب انشغال بلاده بسبل التوصل إلى سلام مع بروسيا عقب هزيمتها في سيدان عام 1870<sup>(88)</sup>.

افتتح جرانفيل مؤتمر لندن؛ حيث عبر في الجلسة الأولى عن أن مندوبي القوى الأوروبية قد اجتمعوا دون أي تفاهم مسبق، لذلك فإن لهم الحرية المطلقة في مناقشة المطالب التي يرغب السفير الروسي في تقديمها إلى المؤتمر بشأن حياد البحر الأسود<sup>(89)</sup>.

وقد قال جرانفيل في الجلسة الأولى: إنه ينبغي - أولاً - أن يتم التوقيع على بروتوكول يعلن حرمة المعاهدات، وعدم قدرة الأطراف الموقعة على الانسحاب من أي نصوص من دون موافقة الدول الموقعة المشتركة، ووافق برونو على التوقيع بشرط ألا يتم العمل بالإعلان بأثر رجعي، كما وافق بسمارك على الاقتراح وأوعز إلى كونت بيرنستورف Bernstorff للتوقيع عليه، وفي نهاية المداولة تم الاتفاق على الإعلان التالي الذي تم التوقيع عليه: "إن المفاوضين من شمال ألمانيا والنمسا والمجر وبريطانيا العظمى وإيطاليا وروسيا بالإضافة إلى تركيا اجتمعوا اليوم في مؤتمر واعترفوا بأن المبدأ الأساسي في قانون الأمم لا يمكنها أن تحرر نفسها من بنود المعاهدات ولا تستطيع كذلك تعديل النصوص فيها؛ إلا بموافقة الدول المتعاهدة عن طريق القيام بترتيبات ودية"<sup>(90)</sup>.

وبذلك حققت بريطانيا أهدافها في الجلسة الأولى من المؤتمر، حيث أكدت مبدأها بشأن احترام المعاهدات، وأن أيّاً من هذه الدول لا يمكنها التنصل منفردة عن تعهداتها السابقة، أو القيام بتعديل شروطها لمصلحتها الخاصة دون موافقة بقية القوى الأخرى الأطراف في تلك المعاهدة<sup>(91)</sup>.

وفي يوم 23 يناير 1871 كانت هناك محاولة من قبل جرانفيل وبرونو لوضع

شروط تتعلق بإغلاق المضائق وحقوق السلطان، وكان البند الأول في هذا الصدد: "إن مبدأ إغلاق مضيق البوسفور والدردنيل في وقت السلم على النحو المنصوص عليه قاعدة قديمة معمول بها من قبل الإمبراطورية العثمانية، وأكدته معاهدة باريس عام 1856، ولا يزال ساري المفعول"<sup>(92)</sup>، وكانت الفقرة الثانية: "يحتفظ السلطان لنفسه بحق فتح المضائق مؤقتاً وبشكل استثنائي لأساطيل الدول الصديقة، وفقاً لطلب تركيا في حال تهديد أمنها"<sup>(93)</sup>.

وقد وقع هناك لغط كبير حول تفسير كلمة الدول المطلة وغير المطلة على البحر الأسود، كما وردت في معاهدة باريس التي كان المقصود منها روسيا؛ حيث أصر جرانفيل على الاستبدال بعبارة "الدول غير المطلة" عبارة "الدول الصديقة" بينما اقترح البعض استخدام تعبير الدول "غير الساحلية"، وقد دُعمت وجهة نظر جرانفيل من قبل المفوضين النمساوي والإيطالي، لكن جرانفيل سرعان ما أبدى استعداده بعد ذلك لسحب اقتراحه مقابل قيام المؤتمر بقبول شرط استعادة السلطان لحقوقه السيادية على المضائق<sup>(94)</sup>.

بدأت الجلسة الثانية للمؤتمر في 24 يناير 1871؛ حيث تم البحث في مذكرة برونو بشأن أحكام معاهدة باريس المتعلقة بالملاحة في البحر الأسود وغير المقبولة من قبل روسيا، خصوصاً المادة 11 التي تنص على إقرار حياد البحر الأسود، وأنه لا لزوم لبقاء التحصينات البحرية الحربية، وأن البحر الأسود مفتوح لجميع الأمم، مع منع دخول السفن الحربية فيه سواء للدول التي لها شواطئ عليه أو لغيرها، وعدّ برونو أن هذه البنود من المغالطات التي تمنع دولتين مطلتين على البحر الأسود مثل روسيا والدولة العثمانية من التمتع بحقوقهما السيادية على بحر شواطئه محصورة بين هذه الدول، بل تجاوزت ما هو ممكن عندما أعلنوا أن مثل هذه الشروط أبدية لن تتغير<sup>(95)</sup>.

وكان هناك سوء فهم واضح بشأن المادة 2 التي أثارت القلق بخصوص التعبير عن القوى غير النهرية؛ وقد جاء المعنى الحرفي للمادة بأربعة اعتراضات، حيث بدا من ظاهر هذه المادة أن السلطان غير مخول بفتح المضائق لسفنه الحربية كما الحال بالنسبة إلى السفن الروسية، ومن الواضح أن ذلك لم



يكن في نية المندوبين المفاوضين<sup>(96)</sup>، لذلك فإن ممثلي الدول مع ذلك أدركوا على الفور عبثية مشروع المادة كما هو؛ حيث اقترح موزوروس باشا الاستبدال بعبارة الدول الأجنبية عبارة "الدول غير المطلة عليه" - أي البحر الأسود - ، كما كان هناك بعض الالتباس فيما يتعلق بتطبيق تعبير "الدول غير المطلة عليه" قاصدين شواطئ البحر الأسود وليس المضائق وفقاً للمادة<sup>(97)</sup> 2.

وفي نهاية مداولات الجلسة الثانية أعلن موزوروس باشا قبول الدولة العثمانية لمبدأ إلغاء حياد البحر الأسود مقابل بعض الضمانات التي يقوم المؤتمر بتقديمها<sup>(98)</sup>.

وقد تم افتتاح الجلسة الثالثة من قبل جرانفيل في 3 فبراير 1871؛ حيث لخص الأحكام والمواد التي تم التوصل إليها في الجلسات السابقة، في حين قام موزوروس باشا بتقديم اقتراحات جديدة، وهي على النحو التالي:

1 - إن الباب العالي ما دام في سلام فإنه يجب إغلاق المضائق أمام جميع السفن عدا السفن الخفيفة المستخدمة من قبل الوكلاء والمفوضين وعلى نهر الدانوب كذلك.

2 - إن الباب العالي يحتفظ لنفسه بالحق في فتح المضائق في وقت السلم لجميع السفن الحربية للدول الصديقة والحليفة إذا ما تطلبت المصالح الأمنية التركية ذلك.

كان موزوروس باشا يسعى من خلال اقتراحاته فتح نقاش عام حول المسألة الشرقية، لكن برونو اعترض على ذلك وأشار إلى عزم الإمبراطور حصر المداولات في "الشروط البغيضة" لمعاهدة باريس 1856، علاوة على ذلك حث برونو زملاءه على إدراج عبارة "الدول غير المطلة" بدلاً من عبارة "الدول الصديقة"، التي كان اقترحها موزوروس؛ لأن الدولة العثمانية لا ترغب في أن تكون مقيدة، أو أن تسعى لإثارة استياء روسيا<sup>(99)</sup>.

أما الجلسة الرابعة للمؤتمر فقد عقدت في 7 فبراير 1871، وكان الوضع يبدو صعباً جداً لأسباب عديدة؛ منها موقف موزوروس "المحير" في المؤتمر،

ومن ناحية أخرى المنافسة بين "القوى غير المطللة" و "الدول الصديقة" بالنسبة إلى البحر الأسود، وكان يُعتقد أن موزروس باشا كان يلعب لعبة مزدوجة، وكان يسعى إلى تفكيك المؤتمر قبل التوصل إلى أي اتفاق<sup>(100)</sup>، لكن برونو وجرانفيل بذلا جهوداً كبيرة من أجل التوصل إلى تفاهم فيما يتعلق بالمادة الثانية للمشروع، وحث برونو على أن تعبير "الدول غير الساحلية" غير مقبول، أولاً: لأن معناه أمر مشكوك فيه، وثانياً: لأنه يمس حقوق السلطان السيادية<sup>(101)</sup>.

وقد أعد جرانفيل نفسه لسحب التعبير السابق بسبب احتجاج برونو ومندوبي بعض الدول عليه، بشرط أن يتم التأكيد بعبارات صريحة استقلال الدولة العثمانية وسلامتها، الأمر الذي جعل المفوض الروسي يعلن استعداده لقبول ذلك، من خلال إبداء الفهم الواضح لمضمون المادة 7 من معاهدة باريس التي تنص على "تعهد الدول الموقعة على معاهدة باريس 1856 باحترام سيادة واستقلال الدولة العثمانية، والتعهد جميعاً بالمحافظة على هذا المبدأ، وأن كل أمر يؤدي للإخلال بذلك تعدّه الدول الموقعة من المسائل التي يترتب عليها مسألة تهمة أوروبا"، وكان مفهوماً بشكل واضح أن التدخل سيطبق فقط في حال العدوان الخارجي وليس لتقطيع أوصال الدولة العثمانية أو التدخل في شؤونها الداخلية<sup>(102)</sup>.

بعد وقت قصير من افتتاح الدورة البرلمانية في بريطانيا في 9 فبراير 1871 تم توجيه اللوم والانتقادات لحكومة بريطانيا بزعماء جلادستون بسبب موافقتها على إعادة النظر في معاهدة باريس، لذلك فقد أجاب جلادستون أن بالمرستون كان دائماً يرى أن حياد البحر الأسود لا يمكن أن يستمر العمل به بشكل دائم، وأن كلارندون قاسمه وجهة نظره هذه، وأضاف أن كلاً من فرنسا والنمسا قد جاءت سابقاً بمقترحات لصالح تنقيح مبدأ حياد للبحر الأسود<sup>(103)</sup>.

## توقيع معاهدة لندن 13 مارس 1871م

بعد نحو شهرين من الجلسات والمداولات المهمة في مؤتمر لندن تم التوقيع أخيراً على المعاهدة التي عرفت باسم "معاهدة لندن" London Convention<sup>(104)</sup> في 13 مارس 1871، حيث تقرر ما يلي:

**المادة الأولى:** المواد 11 و 13 و 14 من معاهدة باريس الموقعة في 30 مارس عام 1856، وكذلك المعاهدة الخاصة بين روسيا والباب العالي المرفقة بالمادة 14 يتم نسخها والاستبدال بها المادة الثانية من معاهدة لندن الموقعة في 13 مارس عام 1871 .

**المادة الثانية:** المحافظة على المبدأ الخاص بإغلاق مضائق الدردنيل والبسفور وفق ما تم الاتفاق عليه في معاهدة باريس 30 مارس 1856 مع الإبقاء على حق السلطان الإمبراطوري في فتح هذه المضائق في أوقات السلم أمام السفن الحربية التابعة للقوى الصديقة له، وذلك في حال ما رأى السلطان أن ذلك سيكون ضرورياً من أجل ضمان تنفيذ الشروط الأخرى الواردة في معاهدة باريس في 30 مارس 1856 .

**المادة الثالثة:** يبقى البحر الأسود بحراً مفتوحاً أمام السفن التجارية الأجنبية بين جميع الدول .

**المادة الرابعة:** تأكيد الدول الموقعة تجديد وتأكيده كل الشروط الواردة في معاهدة باريس 30 مارس 1856 وكل ملاحقها التي لم تتعرض لها المعاهدة الجديدة في لندن بالنسخ أو التعديل<sup>(105)</sup> .

### ردود الأفعال في بريطانيا بعد توقيع معاهدة لندن

اتهم جلاستون من قبل معارضيه ومن قبل شريحة واسعة من الشعب البريطاني بأنه سمح لروسيا بتمزيق معاهدة باريس<sup>(106)</sup>، وعدّ البعض أن معاهدة لندن كانت بمنزلة نصر لروسيا على بريطانيا بعد أن حققت روسيا ما كانت تصبو إليه بالكامل في البحر الأسود، وهو الأمر الذي لم يكن مقبولاً من قبل حكومات بريطانيا السابقة ورؤسائها ومنهم بالمرستون؛ الأمر الذي أوجد الكثير من الاستياء لدى الرأي العام البريطاني، كما قام زعيم المعارضة البريطانية وزعيم حزب المحافظين "دزرائيلي" بالتنديد بمؤتمر لندن، باعتبار أنه سيجلب الذل والعار لبريطانيا<sup>(107)</sup> .

لقد كان موقفاً مؤسفاً للغاية عند الحكومة البريطانية نفسها أن تكون جزءاً

من معاهدة لندن بسبب ما تكبدته من خسائر كبيرة في الأموال والأرواح وأشلاء الجثث الممزقة إبان حرب القرم كي تصل إلى معاهدة يتم تغيير بنودها في وقت لاحق، وطرح الجميع تساؤلاً: هل يمكن لجلاستون وحكومته ألا تحرك ساكناً؟ لقد ذهبوا إلى الحرب سابقاً في مسألة أقل من ذلك بكثير، وربما هذا سبب من الأسباب يضاف إلى قائمة الأسباب المتزايدة التي جعلت هذه الحكومة لا تحظى بشعبية في بريطانيا، لكن من وجهة نظر أخرى، لم يكن هناك شيء يمكن فعله أفضل مما قامت به حكومة بريطانيا<sup>(108)</sup>.

كان جلاستون نفسه موافقاً تماماً بشأن اتخاذ القرارات بشأن تعديل معاهدة باريس، وذلك منذ مناقشات البرلمان البريطاني بعد حرب القرم، وبينما كان يجري النظر في شروط السلام التي أعقبت الحرب آنذاك؛ عبّر جلاستون عن رأيه بحرية وهاجم حكومة بالمرستون ومحاولته الحصول على الكثير من روسيا؛ مما يجعلها في موضع تقرر من خلاله عدم الالتزام والفرار من تطبيق بنود هذه المعاهدة في المستقبل<sup>(109)</sup>.

كانت سياسة جلاستون تبعث على الاعتقاد بأنه لا يهتم بمصالح بريطانيا في الصراعات الأوروبية، وأنه لا يبرر التدخل لصالح طرف دون الطرف الآخر، وعدم وجود حاجة لديه لسفك الدم الإنجليزي دون طائل أو عائد حقيقي<sup>(110)</sup>، وربما هذا ما دفع جلاستون للاعتقاد بأن حياد البحر الأسود كان أكبر من أن يتم تطبيقه بشكل دائم، وتحدث جلاستون في مجلس العموم في وقت مبكر من عام 1871، ولفت الانتباه إلى هذه الحقيقة السابقة وأضاف: "في عام 1856 أعلنت وأنا واثق من قناعاتي أنه كان من المستحيل الحفاظ على الحياد"، ثم قال: "أنا لا أتحدث عن الاتصال المباشر مع اللورد كلارندون، ولكن قيل لي منذ وفاته إنه لم يعلق على القيمة التاريخية لهذا الحياد... مرة أخرى أنا لا أتحدث عن الاتصال المباشر، ولكن قيل لي أيضاً إن بالمرستون بدأ دائماً السعي من أجل عقد ترتيبات يمكن المحافظة عليها، وأنا شخصياً عملت معه العديد من السنوات، لكن كان من المستحيل الحفاظ على حالة دائمة من أجل الوصول إلى تسوية دائمة وكبيرة في أوروبا، رغم ذلك فإن الحس السليم والتفكير المنطقي

يدعونا إلى تعديل أو إلغاء بعض البنود بدل اللجوء إلى الحرب على غرار ما حدث في حرب القرم<sup>(111)</sup>.

مثل هذه الأسئلة المهمة لدى الرأي العام البريطاني في مجال السياسة الخارجية إبان حكومة جلادستون الأولى جعلت الأمر يبدو وكأن جلادستون ليس من النوع الذي يعزز دور حكومته، التي كانت ذات "طابع غريب" يتطلب التكيف مع مقتضيات صارمة في التنافس الدولي. فقد كان جلادستون "يحب السلام كثيراً"، وأبدى تفوقاً كبيراً على المتشددين في أوقات الحرب والصراع، ومن ثم تلك "النوايا الطيبة للحكومة في عهد جلادستون" وسياستها خلال هذه الأحداث المهمة نتج عنها شيء من الاستياء والسخط في الداخل والخارج وتشويه سمعة البعض الآخر، حيث ندد دزرائيلي في انتخابات يناير 1874 بالحكومة التي يقودها جلادستون وبسياستها<sup>(112)</sup>، وعلى الرغم من كل ما حدث فإن ذلك لم يغير من حقيقة مهمة وهي أنه بمعاهدة لندن 1871م تم إلغاء حياد البحر الأسود، وحصلت روسيا على حرية الملاحة التامة وتسيير سفنها فيه دون أي تعويضات أو مقابل تحصل عليه الدولة العثمانية<sup>(113)</sup>.

## الخاتمة

فشلت بريطانيا في منع روسيا من تعديل معاهدة باريس 1856 بشأن حياد البحر الأسود، وذلك للعديد من الأسباب، أهمها: هزيمة فرنسا على يد ألمانيا في معركة سيدان 1870، وما نتج عنها من ظهور ألمانيا كدولة عظمى بزعامة بسمارك الذي عاضد - بدوره - بقوة ودعم المطالب الروسية بشأن تعديل معاهدة باريس، كذلك انشغال أوروبا بشؤونها الداخلية وعدم رغبتها في زيادة التوتر مجدداً بعد الحرب الألمانية الفرنسية، كذلك معرفة بريطانيا بأنها لا تستطيع الذهاب إلى الحرب مع روسيا منفردة دون حليف أوروبي أو أكثر، بالإضافة إلى أن حكومة بريطانيا بزعامة جلادستون لم تكن ترغب في الاستمرار بالسياسة البريطانية التقليدية الخاصة بضرورة الحفاظ على استقرار ممتلكات الدولة العثمانية وسلامتها وصيانة استقلالها ودعمها ضد روسيا؛ وذلك بسبب

موقف جلادستون المؤيد لاستقلال المقاطعات المسيحية داخل الدولة العثمانية، بل يمكن القول: إن سياسة جلادستون وحكومته كانت تميل بطبعها إلى توطيد العلاقات مع روسيا على حساب الدولة العثمانية؛ لذلك كان من الطبيعي أن تنجح المحاولات الروسية، ويتم تعديل معاهدة باريس من خلال عقد مؤتمر لندن عام 1871 الذي أنهى حياد البحر الأسود.

## الهوامش والمراجع

- (1) Karal, Enver Ziya. **Osmanli Tarihi, Islahat Ferman-i Devri 1856-1861**. Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1983, Cilt. V, p 211.
- (2) Osmanli Tarihi, Islahat Ferman-iDevi 1856-1861, p211.
- (3) Osmanli Tarihi, Islahat Ferman-iDevi 1856-1861, p211.
- (4) Schwarzenberger, George. **Power politics: A Study of International Society**. London: Jonathan Cape, 1941, p. 68.
- (5) Sprout, Harold and Margaret. **Foundations of National Power**. New York: D. Van Nostrand, 1955, p. 716-7.
- (6) Paneth, Philip. Turkey, **Decadence and Rebirth**. London: Alliance Press, 1943, p. 21.
- (7) Hopkins, J. Castell. **Life and Work of Mr. Gladstone**. Canada: The Gladstone publishing, 1898, p. 227.
- (8) Life and Work of Mr. Gladstone, p. 227-8.
- (9) General Treaty of Peace between Britain, Austria, France, Prussia, Russia, Sardinia, and Turkey, Signed at Paris, 30 March 1856, in Hertslet, Edward. **The Map of Europe by Treaty, Showing the Various Political and Territorial Changes Which Have Taken Place Since the General Peace of 1814**. London: Butterworths, 1875, Vol. 2, No. 264, p 1250-65.
- (10) Hopkins. Life, p. 233; Hertslet. **The Map**, Vol. 2, No. 264, p 1250-65.
- (11) Hurewitz, J. C. **Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record 1535-1914**. New Jersey: D. Van Nostrand Co, 1956, Vol. I., p. 173; Greene, F. V. **Sketches of Army Life Russia**. New York: Charles Scribner's, 1880, p. 285.
- (12) Hopkins. Life, p. 233.
- (13) Jelavich, Barbara. **The Ottoman Empire, The Great Powers and the Straits Question 1870-1887**. Indiana: Indiana University Press, 1973, p. 9-10.
- (14) Phillipson, Coleman - Buxton, Noel **The Question of the Bosphorus and Dardanelles**. London: Evens and Haynes, 1917, p. 102.

- (15) Dascovici, N. **La Question du Bosphore et des Dardanelles**. Geneve: Georg & Libratres-éditeurs, 1915, p. 227.
- (16) La Question du Bosphore et des Dardanelles, p227.
- (17) Morley, John. **The Life of William Ewart Gladstone**. New York: The MacMillan Company, 1911, Vol. 2, p. 349.
- (18) The Life of William Gladstone, p. 349-50.
- (19) Goriainow, Serge. **Le Bosphore et les Dardanelles, étude Historique sur la Questiopn des Détroits**. Paris: Librairie Plon, 1910, 149-150; Dascovici. La Question, p. 227.
- (20) Anderson, M. S. **The Eastern Question 1774-1923, A Study in International Relations**. London: MacMillan, 1972, p. 172.
- (21) Phillipson - Buxton. The Question, p. 104.
- (22) Anderson. The Eastern, p. 172.
- (23) Goriainow. Le Bosphore, p. 149-150; Dascovici. La Question, p. 227.
- (24) Hertslet. The Map, Vol. 3, p. 1892-7; Marriott, J. A. R. **The Eastern Question, A Historical Study in European Diplomacy**. Oxford: At The Clarendon Press, 1918, p. 281; Anderson. The Eastern, p. 172.
- (25) Morley. The Life, Vol. 2, p. 349; Greene. Sketches, p. 285.
- (26) Shotwell, James - Deak, Francis. **Turkey at the Strait, A Short History**. New York: The MacMillan Co., 1940, p. 44-7; Hopkins. Life, p. 233.
- (27) Hopkins. Life, p. 233.
- (28) Dascovici. La Question, p. 232.
- (29) Morley. The Life, Vol. 2, p. 350-1.
- (30) Morley. The Life, Vol. 2, p. 350-1.
- (31) Morley. The Life, Vol. 2, p. 351.
- (32) Phillipson - Buxton. The Question, p. 107.
- (33) Jelavich. The Ottoman, p. 26.
- (34) F.O 718-2125, Elliott to Granville, Therabia, 4 Nov. 1870, Confidential, in Jelavich. The Ottoman, p. 26-7; Graham Fry, Michael (Others). **Guide to International Relations and Diplomacy**. London: York Road, 2002, p. 138.
- (35) Gladstone to Granville, Hawarden Castle, 19 Nove.1870, Private. In Jelavich. The Ottoman, p. 26.
- (36) Mosse, W. E. , **The story of a peace settlement**. London: MacMillan, 1963, p. 164.
- (37) The story of a peace settlement, p.164.
- (38) Hertslet, **The Map**, Vol. 3, p. 189; Phillipson - Buxton. The Question, p. 109.
- (39) Dascovici. La Question, p. 234; Phillipson - Buxton. The Question, p. 110.

- Hurewitz. Diplomacy, Vol. I, p. 174; Hertslet. The Map, Vol. 3, p.1892-7; Jelavich. The Ottoman, p. 164; Coleman - Buxton. The Question, p. 109.
- (40) Phillipson - Buxton. The Question, p. 110; Lauterpacht, Hersch. **International Law, the Law of Peace**. Cambridge: Cambridge University Press, 1975, p. 98.
- (41) The Question, p. 110-1.
- (42) The Question, p. 111.
- (43) The Question. p.111.
- (44) Marriott. The Eastern, p. 280-2; Dascovici, N. La Question, p. 233.
- (45) Oakes, Sir Augustus - Mowat, R.B. **The Great European Treaties of the Nineteenth Century**. Oxford; At the Clarendon Press, 1921, p. 317; Shotwell-Deak. Turkey, p. 44-7.
- (46) Jelavich. The Ottoman, p. 26.
- (47) The Ottoman, p. 28.
- (48) The Ottoman, p.28.
- (49) Elliot to Granville, Therabia. 17 Nov. 1870, F.O. 78-2125, In Jelavich. The Ottoman, p. 28.
- (50) Morley. The Life, Vol. 2, p. 351.
- (51) Morley. The Life, p. 351-2.
- (52) Morley. The Life, p. 352.
- (53) The Life, p.352.
- (54) Hopkins. Life, p. 234.
- (55) Dascovici. La Question, p. 236.
- (56) Shotwell-Deak. Turkey, p. 44-7.
- (57) Dascovici. La Question, p. 234; Goriainow. Le Bosphore, p. 171-2.
- (58) Morley. The Life, p. 352.
- (59) Jelavich. The Ottoman, p. 33.
- (60) Morley. The Life, Vol. 2, p. 352-3.
- (61) Dascovici. La Question, p. 236.
- (62) Granville to Russell, 25 Nov. 1870, F.O. 30-29-25, In Jelavich. The Ottoman, p. 33-4.
- (63) Marriott. The Eastern, p. 281-2.
- (64) Jelavich. The Ottoman, p. 33.
- (65) Anderson. The Eastern, p. 173.
- (66) Gorianiow. Les Bosphore, p. 187-8.
- (67) Phillipson - Buxton. The Question, p. 109.
- (68) Gorianiow. Les Bosphore, p. 187-8.
- (69) Les Bosphore, p.187-8.



- (70) Jelavich. The Ottoman, p. 29.
- (71) The Ottoman, p. 187.
- (72) Morley. The Life, Vol. 2, p. 349.
- (73) Dascovici. La Question, p. 237; Goriainow. Le Bosphore, p. 212-3; Jelavich. The Ottoman, p. 39-40.
- (74) Granville to Elliot, 23 Nov. 1870, F.O. 195-259, In Jelavich. The Ottoman, p. 28.
- (75) Shotwell-Deak. Turkey, p. 48.
- (76) Jelavich. The Ottoman, p. 38-9.
- (77) The Ottoman, p. 38.
- (78) The Ottoman, p. 46-7.
- (79) Dascovici. La Question, p. 236; Goriainow. Le Bosphore, p. 198.
- (80) Morley. The Life, Vol. 2, p. 354; Jelavich. The Ottoman, p. 33.
- (81) Morley. The Life, Vol. 2, p. 354; Jelavich. The Ottoman, p. 33.
- (82) Marriott. The Eastern, p. 282-3.
- (83) Phillipson - Buxton. The Question, p. 119-20; Dascovici. La Question, p. 236.
- (84) Dascovici. La Question, p. 237; Goriainow. Le Bosphore, p. 201-204.
- (85) Goriainow. Le Bosphore, p. 213; Phillipson - Buxton. The Question, p. 120.
- (86) Dascovici. La Question, p. 237; Goriainow. Le Bosphore, p. 204-6.
- (87) Dascovici. La Question, p. 237-8.
- (88) Aksun, Ziya Nur. **Osmanli Tarihi, Osmanli Devleti'nin Tahlilli, Tenkidli Siyasi Tarihi**. Istanbul: ötügen Nesriyat A.?. 1995, Cilt. 4, s. 54; Paul, Herbert Woodfield. **The Life of William Ewart Gladstone**. London: Smith, Elder, 1901, p. 116-7; Jelavich. The Ottoman, p. 47; Hopkins. Life, p. 234; Phillipson - Buxton. The Question, p. 121; Graham Fry. Guide, p. 138-9.
- (89) Jelavich. The Ottoman, p. 47.
- (90) Phillipson - Buxton. The Question, p. 121.
- (91) Jelavich. The Ottoman, p. 47.
- (92) Phillipson - Buxton. The Question, p. 122.
- (93) The Question, p.122.
- (94) The Question, p.122.
- (95) Dascovici. La Question, p. 239; Goriainow. Le Bosphore, 240-1; Phillipson - Buxton. The Question, p. 122.
- (96) Dascovici. La Question, p. 239; Goriainow. Le Bosphore, p. 247; Phillipson - Buxton. The Question, p. 124.
- (97) Goriainow. Le Bosphore, p.255; Phillipson - Buxton. The Question, p. 124.
- (98) Jelavich. The Ottoman, p. 47-8.
- (99) Phillipson - Buxton. The Question, p. 126.

- (100) The Question, p.126.
- (101) The Question, p.126.
- (102) The Question, p.126.
- (103) The Question, p. 127.
- (104) Anderson, M. S. **The Great Powers and the Near East 1774-1923, Documents of Modern History**. London: Edwards Arnold, 1970, p. 85; Hurewitz. Diplomacy, Vol. I, p. 174; Karal. Osmanli, Cilt. VII, s. 63; Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 54; Anderson. The Eastern, p. 173; Graham. Guide, p. 138.
- (105) Hurewitz. Diplomacy, Vol. I, p. 174; Dascovici. La Question, p. 237-8; Phillipson - Buxton. The Question, p. 127-8; Otte, T. G. **The Foreign Office Mind: The Making of British Foreign Policy 1865-1914**. Cambridge: Cambridge University Press, 2011, p. 69; Rozakis, Christos L -Stagos, Petros N. **The Turkish Straits**. Dordrecht: Martinus Nijhoff Pub, 1987, p. 86.
- (106) Paul. The Life, p. 116-7.
- (107) Dascovici. La Question, p. 241.
- (108) Hopkins. Life, p. 234-5.
- (109) Hoptins, Life, p.234-5
- (110) Curry, J. L. M. **William Ewart Gladstone**. Richmond: B. F. Johnson & CO, 1891, p. 135.
- (111) Hopkins. Life, p. 235.
- (112) Hopkins, Life, p.235.
- (113) Karal. Osmanli, Cilt. VII, s. 65; Aksun. Osmanli, Cilt. 4, s. 54.